مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 02، جوان 2024، صص: 141- 152
تاريخ الاستلام(2022/07/10)تاريخ القبول (2024/06/19)تاريخ النشر(2024/06/30)

صورة الآخر في رواية سيغون ستارغو لمحمد بن زخروفة

The Other's Image in Segun Stargo's Novel By Mohamed Benzekhroufa

حاشي محمد نصرالدين[1]، بوطرفاية مصطفى[2]
مخبر الخطاب الحجاجي

[1] جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، Nacereddine.mohamed@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون- تيارت(الجزائر)، mostefabouterfaya@yahoo.fr

ملخص:

الصراع بين الأنا والآخر صراع طويل، يمتد لبدايات وجود الانسان على سطح الأرض، حيث تعتبر ثنائية الأنا والآخر من أبرز القضايا التي اهتم بها الأدباء والنقاد في مجمل إبداعاتهم، باعتبارها قضية إشكالية تعكس مدى التأثير والتأثر الذي أحدثته الأنا والآخر في بعضهما .حيث تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن صورة الآخر في الأدب الجزائري من خلال استعراض تمثلات الآخر في رواية سيغون ستارغو للأديب محمد بن زخروفة، خصوصا وأن الكاتب قدم طرحا جديدا لروايته ناقلا لنا عبرها صورة الجندي الفرنسي الناقم عن بلاده والمُدافع عن قيمه التي تخدم الانسانية وتعارض بلده.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الأنا، الآخر، الصراع.

Summary:

The struggle between the Ego and the other is a long-standing one، extending to the beginnings of human existence on the surface of the Earth، where the ego-otherduality is considered one of the most prominent issues that writers and critics have been interested in

المؤلف المرسل: حاشي محمد نصرالدين، الإميل:Nacereddine.mohamed@univ-tiaret.dz

throughout their creative works، as it is a problematic issue that reflect the extent of the influence and interaction between the ego and the other.This study aims to explore the image of the other in Algerian literature by reviewing the representations of the other in the novel Saigon Stargo by the writer Mohamed Ben Zakhroufa، especially since the latter presented a new approach in his novel، conveying to us the image of the French soldier who is resentful of his country and defends values that serve humanity and oppose his country.

Keywords: Image، Self، Other، Struggle.

1. مقدمة:

تعتبر دراسة صورة الآخر فرعا من فروع الدراسات المقارنة، الذي شهد تطورا ملحوظا في الفترة الأخيرة، بسبب تلك الرغبة في تحقيق التفاهم والتعرف بين الأمم والدول، ويتم ذلك عبر دراسة مختلف الصور المقدمة في الآداب القومية الصادرة عن الشعوب الأخرى، سواء أكانت هذه الصور إيجابية تساعد في نشر التفاهم بين الدول، أو تحمل نظرة سلبية تسيء للآخر.

تضمنت نصوص روائية جزائرية كثيرة مشاهد تُصور العلاقة بين الأنا والآخر، على سبيل المثال نجد: العديد من نصوص الكُتاب المهاجرين بِحُكم أن أصحابها يعيشون في مجتمعات غربية، أغلبهم من فرنسا، فيصورون في أعمالهم صورة الآخر الفرنسي مقارنة مع الأنا الجزائري، بوصفهم للجانب الفرنسي بصورة دونية بنظرة رُهاب، نتيجة لسعي الآخر إلى إقصاء الأنا او احتقاره، لكن نادراً ما نشاهد العكس، أي الفرنسي ينتفضُ ضد بلده دفاعا عن الجزائر، رافضا لكل الصور النمطية السابقة، هذا بالضبط ما لمسناه في رواية سيغون ستارغو للكاتب محمد بن زخروفة، إذا يصوّر فيها، المجند الفرنسي الرافض للانا الفرنسي مقابل الآخر الجزائري، فتناولناها بالدراسة والتحليل، من خلال استقراء صورة الآخر، ومقارنة الأنا والآخر من ناحية التعايش والصراع، وعنفه.

سلكنا في بحثنا هذا المنهج التحليلي المقارن، الذي حاولنا من خلاله تحليل صورة الآخر في الرواية، ولقد قسمنا بحثنا هذا إلى محورين واحد نظري والآخر تطبيقي، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

تطرقنا في المحور الأول إلى تحديد مجموعة من المفاهيم والمصطلحات على سبيل المثال: الصورة، الآخر، صورة الآخر، الصورة الأدبية ثم جدلية الأنا والآخر، أما في المحور الثاني فقد كان مخصصا لتطبيق ما تم تناوله في المحور الأول النظري من بحثنا هذا، فقمنا باستقراء أوجه ظهور الآخر، ثم تمثيلات صورة الآخر، ثم تمت دراسة أهم الشخصيات

الممثلة للانا والآخر، والعالقة بين الأنا والآخر، ثم وقفنا عند تجليات الصورة النمطية المعتادة، ثم كانت خاتمة بحثنا المتواضع هذا بذكر ما تم الوصول إليه من نتائج.

2.المحور الأول: مفاهيم

1.2 الصورة:

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ص.و.ر) أي تصورت الشيء، توهمت صورته، فتصور لي [1]

وفي أسماء الله الحسنى: المصوّر هو الذي جمع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها.

وجاء في المصباح المنير مادة (ص.و.ر) «صورة التماثيل وجمعها صور مثل حرفة وحرف وتصورت الشيء مثلت صور له وشكله في الذهن فتصور هو وقد تطلق الصورة ويراد الصفة كقولهم صورة الأمر كذا، أي صفته ومنه قولهم صورة المسألة كذا أي صفتها»2.

فالصورة هي تعبير عن ذلك البعد الدلالي بين ثقافتين أو مجتمعين مختلفين، فهي تنشأ بين الأنا مقابل الآخر، ويمكن القول إنها تلك الصورة الذهنية التي يكوّنها شخص أو مجتمع عن ثقافة ما تختل عنهم، فيستطيع من خلالها كشف وترجمة ثقافة بلده أو المكان الذي ينتمي له.

2.2 الآخر:

تُعتبر لفظة " الآخر" قديمة قدم وعي الانسان باختلافه عن غيره، ولقد طرأت عليها عدة تغيرات، فانتقلت من كونها مجرّد لفظة، فأصبحت مصطلح له معانٍ ودلالات في العلوم الانسانية، بحيث أصبح مفهوما متداخلا مع مفهوم الذات التي لا تحقق وجودها إلا بوجود الآخر.

يُعرف مصلّح النجار "الآخر" بأنهم: «فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو (الأنا)، فإذا حدّدنا هوية الأنا كان الآخر فرداً أو جماعة يحكم علاقته بالانا عامل التمايز، وهو تمايز إطار الهوية أحيانا والإجراء في أحيان أخرى»[3].

إذاً لا وجود لآخر دون وجود الأنا فلا بد من توفر شرط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما، كلاهما يحدد غيره ويحيل إليه، فبمجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات أو الأنا.

ومما يجب الوقوف عنده في هذا المقام هو أن قضية الأنا والآخر لا ترتبط دائما بوجود علاقات ثقافية فقط بين الطرفين وإنما يتسع المجال ليشمل العلاقات بين الجنسين (ذكر- أنثى).

3.2 صورة الآخر:

قبل اللجوء إلى دراسة صورة الآخر يجب التأكيد على نقطة مهمة وهي أنّ نفي الآخر وعد الاعتراف به هو نفي للذات، وذلك من منطلق «أن الإنسان لا يمكنه العيش مستقلا بذاته، فهو من دون شك بحاجة ماسة إلى إنشاء علاقات مع غيره تشعره بالسكينة والهدوء، وتسهل عليه مرارة العيش وحيدا منعزلا عمن يحيط به»[4].

إن صورة الآخر إذن في الواقع ما هي إلا انعكاس لخلفيات الأنا وآرائها اتجاهه، وهي بهذا المفهوم صورة ترتبط ارتباطا قويا بالمواقف السلبية أو الإيجابية التي تنتجها الذات عن الآخر والتي تصبح فيما بعد بمثابة العماد التي تستند إليه الأنا في رسم علاقاتها به وتحديد طريقة تعاملها معه ومنه يمكن إدراك نسبة التفاعل التي قد تنتج بينهما.

إن عملية تكوين صورة الأخر هي عملية فردية أو جماعية تختلف فيها الجوانب التي قد تساعد في معرفة الآخر واكتشافه، إذ يمكن للانا أن تعتمد في محاولاتها لاكتشاف الآخر على الجانب المجتمعاتي بما فيه من عادات وتقاليد متوارثة وسلوكيات معتادة مختلفة بالمقارنة إليها، كما يمكنها أيضا أن تستند في ذلك على الجانب الأدبي وهذا من خلال النص الإبداعي الذي يعكس بشدة ثقافات أي مجتمع، فهو مرآة عاكسة لقضايا هذا المجتمع وظواهره، وبالتالي فهو قادر على أن يكون تعبيرا عن الآخر من جهة وممثلا لبعض الانطباعات عن الذات من جهة أخرى، فالانا تستقي محددات الآخر من مصادر كثيرة، اجتماعية أو تاريخية أو ثقافية وحتى أدبية، لتكون في الأخير صورة كلية عنه تعيد تشكيلها وفق وجهة نظرها الخاصة المحتكمة لخلفيات متنوعة.

4.2 الصورة الأدبية:

الصورة الأدبية تتمثل في كل ما يصدرُ من الأديب أو الباحث المقارن في رحلة بحثه عن الآخر على اختلاف الحضارات والدول واللغات بين الشعوب والأمم، فكل ما يصدرُ منه

في سبيل ذلك من نصوص وروايات وحتى شعر يندرج ضمن الصورة الأدبية فهي تحمل ضمن طيّاتها الكثير من الأفكار حول الآخر، وأوجه التقاطع ومواطن الاختلاف ... الخ.

إن دراسة الصورة الأدبية للآخر يستوجب بالضرورة أن تكون الذات متفتحة على الآخر، غير منغلقة على نفسها، لأن انفتاحها على الآخر ودراستها له - بتوفر الرغبة في التعرف عليه - يساعد في التعرف على الثقافات المتنوعة التي تختلف بشكل أو آخر عن ثقافتها وهويتها، بل إنه يجعلها أكثر إدراكا لسلبياتها إذْ ما كان هذا الآخر متغلبا عليها، أو لمواطن قوتها في حالة كان متخلفاً عنها، كما قد تساعدها في التعبير عن الأحاسيس المكبوتة تجاهه، فالصورة الأدبية هي مجموعة انفعالاتها به، وبما أن من الأفكار التي تصِفُ الآخر وترسم صورة له، فكما يجبُ أن تُثبت عندما تنقل صورة صحيحة واقعية للآخر، فلا بُدّ لها أن تُصحح في حالة ما نقلت صورة سلبيّة مشوّهة عنه.

5.2 جدلية الأنا والآخر:

الحديث عن الآخر يعني بالضرورة اكتشاف الذات، وعلاقة هذا الذات مع الآخر قد تكون (سياسيا حضاريا واجتماعيا وثقافيا)، فهذه العلاقة قائمة على أساس أن الذات هي المكوّن الأساسي في حركة الفكر والثقافة بشكل عام، وهي الأصل، والآخر مجرد ظل لهذه الذات، وهو فرع عنها، وهو الخطأ لكل تصوراتها، وتظل العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية افتراضية، فقد تكون الأنا على حساب الآخر، أو إلغاء الآخر لصالح الأنا، وهذه العلاقة قائمة على ثنائية الأشياء، وعلاقة التضاد القائمة بينهما، واستحالة الدمج بين هذه الثنائيات، مثل الحياة والموت، والخير والشر، والصواب والخطأ، والذكورة والأنوثة، إلى غير ذلك من العلاقات الثنائية والضدية التي تحكم منطق الأشياء. والصراع بين الأنا والأخر، صراع طويل يمتد إلى البدايات الأولى لوجود الإنسان على هذه البسيطة، ويدخل في أخص العلاقات الإنسانية، كما كانت بدايته في الصراع بين الأخوين قابيل وهابيل، وقد تقترب هذه الغيرية أو تبتعد بين الأطراف، ولكنها لا تلغى بل تبقى قائمة، لان العلاقات الإنسانية بطبيعتها قائمة على أساس التغاير لا التمازج، وفقا للمصالح الذاتية والاعتبارات الخاصة التي قد تقترب أو تبتعد من مصالح الآخرين واعتباراتهم الخاصة، وقد عبر الشاعر الألماني "غوته" عن ذلك وهو يتحدث عن ذاتية اللغة الألمانية بالنسبة له، وغيرية اللغات الأخرى، يقول: أنا أحب الألمانية ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن أحب الفرنسية، ولكني أفهم

حقيقة أن الفرنسي يحب الفرنسية ويعيشها، ولا يمكن أن يحب الألمانية كما يحب لغته القومية .

3. المحور الثاني: الجانب التطبيقي

1.3 ملخص الرواية:

كتجربة روائية جديدة، ينطلق لنا الكاتب الشاب الجزائري محمد بن زخروفة بروايته المعنونة بـ: سيغون ستارغو، حيث يروي أحداثا تُلازم بطلها المُلقب بجون ريش وهو شاب عشريني فرنسي يظهر على ملامحه اليقظة والحذر، شديد الحرص على أفكاره، مولع بالكتب النادرة بالأخص منها، المتعلقة بالسياسة والفكر، يرى نفسه مميزا كونه يحمل أفكارا يراها ضرورية لبناء مجتمعه، ويؤمن بفكرة أن الإنسان الطبيعي لا تغيره المواقف مهما حصل، يحاول دوما كشف الزيف الذي يحيط بالسلطة الحاكمة وبالأخص رجال الدين الذين وظفتهم الحكومة الفرنسية حتى يُسهلوا عليها كشف نوايا المواطنين من خلال قُداس المعابد والكنائس. كما كان يحلم بالحب الذي استطاع بشغفه المعرفي أن يكسب أنثى تماثله تماما في فكرهِ، كان يُعدانِ الأمور لترسيم علاقتهما، إلى أن توفي والد توماس (الذي كان يشغل ضابطا بالجيش الفرنسي) بإفريقيا أين النزاع القائم بين المستعمر الفرنسي وأهل الأرض، توفي تاركاً وصيته، مفادها أن يُصبح الابن جون ريش جنديا بوصية والده، لم يكن في حساب توماس أن يُصبح يوماً جنديا تابع لنظام سلطة يراها ظالمة ومُتسلطة على الشعب، حاول كثيرا الاندماج مع حياة النظام العسكري، لكن ذهنه كان أبعد ما يكون عن العقلية النظامية، تمرد كثيرا وكان يجد كل مرة مكانة والده تشفع له بتدخل من السيدة فيكتوريا والدته، إلى أن حدثت واقعة تفجير الثكنة الباريسية من قبل متمردين أفارقة، كما كشف التحقيق بعدها، وشاءت الصُدف أن يكون توماس جون ريش المسؤول عن الحراسة ليلتها، حدث التفجير بينما هو غارق في قراءة كتبه ولم يكن متواجدا في المكان المطلوب منه الحضور به، تُحمل القضية على محمل الجِّد إلى المحكمة العسكرية، مما تقرر بعدها أن يوّجه للتجنيد في الجزائر كعقوبة، باءت كل محاولات والدته فيكتوريا في الشفاعة له بالبطلان، يصل جون للجزائر، وهذا أما حيرته في أمر اختفاء صديقه الجندي الذي رافقه في الرحلة، بينما يجد راحته في مصاحبة جندي آخر، تتواصل الأحداث إلى غاية أن صرخ جون في وجه كبير الرهبان متهما إيّاه بخديعة الجنود، فيتعقد وضعه العسكري، فيُرسل بعدها إلى السجن رفقة أسرى جزائريين، لينقذه صديقه الجندي الذي ارتاح له سابقا بعد

أن عُذب في السجن بكتابة تقرير عن حالته الصحية والعقلية، ليُطلق سراحه ويعود مُعفى من الخدمة العسكرية.

2.3 النظرة المُتعسفة للآخر دون تفريق:

يذكر الكاتب محمد بن زخروفة في غلاف روايته الخلفي مُلخص لروايته ويختتمها بجملة كان مُحتواها كالتالي: «إنها رواية تلفت انتباه الجزائريين إلى تعسّفهم في نسيان من ساندهم من الفرنسيين».

في إشارة واضحة منه أن ليس جميع الفرنسيين على نفس القدر من السوء والهمجية في معاملة الجزائريين، بل العكس يوجد الكثير من ساندهم في قضيتهم ولم يلزموا الحيّاد، وآمنوا بقضيتهم رغم كونهم فرنسيين لكنهم نظروا للجزائريين بعين العقل والمنطق، فليس من الحكمة في شيء انتقاد الجزائريين في دفاعهم عن وطنهم الأم.

واستهل عبارته بكلمة " إنها رواية " في محاولة منه لجذب انتباه القارئ وتعريفه لروايته، ومما شدّ انتباهي أكثر ودفعني دفعاً لقراءة الرواية، كلمة استخدمها بن زخروفة تستفز القارئ وهي كلمة " تعسّفهم" أي أن الجزائريين قد ظلموا وتجاهلوا فئة معتبرة من الفرنسيين كانت لهم عونًا، والكاتب عبر روايته سيغون ستارغو كانت محاولة منه لتنوير القارئ الجزائري لهاته الشريحة، واعطائها حقها المسلوب منها

3.3 الأنا / الآخر (الصراع الفكري والعقائدي):

تبرز الرواية الصراع الفكري والعقائدي بين الأنا الفرنسي والآخر (الافريقي عامة والجزائري خاصة) ونظرة الآخر الفرنسي للسكان الأصليين على أنهم متمردون ومصدر كل شرّ، يقول محمد بن زخروفة في روايته ممثلا للمارشال المسؤول عن كشف التحقيق حول حادثة انفجار الثكنة التي كان جون يُداوم الحراسة فيها: «بتاريخ جوان من سنة 1844 ... باغتت مجموعة من المتمرّدين الأفارقة الجندي توماس جون ريش التّابع لفرقتي المناوبة»[5].

فكلمة المتمردّين الأفارقة لها مدلول كبير يوضّح اللفظ الذي اعتادت فرنسا بجنودها استخدامه ولتشير للسكان الأصليين، فهو يحمل في طياته حالة من البغض والحقد عليهم، في محاولة لتشويه صورتهم أمام الرأي العام.

كذلك عند تقدم الأحداث نجد الجنرال دوبرمون تقدم نحو الجنود الذين يتم تجنيدهم (جون والبقية) مُخاطبا بنبرة غاضبة من السكان الأصليين أصحاب الأرض ومُهددا:

«لكن الأذهان المتحجّرة التي تسكن أجساد هؤلاء القوم المتواجدين على هذه الأرض أبو الانصياع لأوامرنا، أو ترك مجال لنا لزرع الحضارة، في أوساطهم، لذلك نحن ماضون في مسعانا النّبيل ولو على رقابهم، وجئنا ببعض الأسرى إلى هذا المكان سعيا منّا إلى تلقينهم التعاليم المسيحيّة السّمحة»[6].

حيث أدت هذه الوسائل دوراً بارزا في تقديم الجزائريين على أنهم متخلّفون وذوي عقول متحجرة، فهي كانت بمثابة تقديم صورة للتصادم الحضاري بين البلدين، من خلال نظرة فرنسا الدونية للجزائريين التحقيرية، في مقابل أنهم دخلوا لنشر الثقافة والحضارة.

ويُمكن القول إن محمد بن زخروفة مثّل شخصية سيغون ستارغو في الوقت التي كانت تسود الكثير من المغالطات والأفكار السائدة آنذاك، إلا أنه كان يحاول تنوير العالم بالأفكار الصواب وتصحيح المفاهيم التي لطالما عمدتْ فرنسا لتغليط الرأي العام والجنود بها، بمساعدة الباباوات ورجال المعابد مُستغلة الجانب الديني والعاطفي لشعبها.

يقول جون ريش غاضبا مُعبرا عن رأيه بنبرة استفهامية: «لماذا نخشى نحن الفرنسيين أن نقول بأننا نظلم أولئك ال...»[7]

4.3 الآخر وإلغائه للأنا:

إن الآخر الفرنسي بمظاهر نفوذه وسلطته وقوته أجبر الأنا الجزائري على تصغير شأنه بل وطمس هويته وإلغائه قدر المستطاع، فالجندي الذي التقاه جون وكان يعمل بالسيغون أخبره عن طبيعة عمله حيث يعمدون على الغاء ديانتهم الأصلية (الاسلام) ووضع النصرانية محلّها، فعند طمس الديانة يكون المستعمر (الآخر) قد ضرب اللغة والهوية في مقْتل، ويتخذون فئة الأطفال الصغار كفريسة سهلة لهم، بعد أن استحال الأمر مع الكبار كونهم يموتون في سبيل ديانتهم

«كل جنديّ هنا مكلّف بتنصير الأسرى خاصة الأطفال، وذلك أن كبار السّن أغلبهم عقولهم متحجّرة، ويرضون بالتّعذيب وحتى بالموت على الانصياع لنا»[8].

لكن جون ريش لطالما كان مناهضا لأفكارهم حيث سأله قائلا: «هل تحدثك نفسك بأنك شخص مجرم؟ وهل يعقل أن تفرض على أسير تحتلّ أرضه أن يتّبع دينك مجبرا؟»[9].

فلم يكن من الجندي الفرنسي أن ينكر ما قاله جون فقد خاطب عقله بكلام منطقي إلا أنْ سأله عن هويته إن كان من الفرنسيين؟

فأجاب قائلا: «وهل تعتقد أنّ كلّ شخص ينتمي إلى فرنسا هو راض بأن يظلم أبناؤها شعوبا أخرى تحت راية التمدّن؟ فأنا صادق مع نفسي يا صديقي، حاول أن تبحث عن ذاتك النّظيفة داخلك وستدرك صدق كلامي»[10].

5.3 الآخر الأجنبي والآخر المحلي:

من خلال رواية سيغون ستارغو يتضح أن الجندي بطل الرواية توماس جون ريش قد أُعجب بالأسرى الجزائريين الأجنبيين عنه حيث ذكر أنهم سبب مساعدته وهو يعاني من ويلات ظلمة سجن ستارغو وعذابه، حيث لطالما وجدهم بجنبه مساعدين له على التداوي من التعذيب الذي طاله من السجّان ومساعدته على تقليبه كي لا يتعفن جسده .

«كان الأسرى من حولي في كلّ مرّة يرفعون جسدي من مكان إلى آخر خشية تعفّنه، وكانوا يُزيلون ترسّبات تشكلت على مناطق من جسدي بفعل الرطوبة والأوساخ المنتشرة قُربنا» [11].

مشيرا إلى أنهم كانوا سببا رئيسيا في بقائه على قيد الحياة بإطعامه له مما تيسر لهم من رغيف مع شربات ماء، رغم أنه ليس منهم، بل وقد جاء بصفته جنديا فرنسيا مُحتلا لبلدهم

«واقترب منّي أحدهم، وقرّب الخبز ناحية فمي مشيراً إليّ أن أفتحه، أخذ يفتّت الخبز بأنامله لتقع داخل فمي، ثمّ يتبع خلفها قطرات من الماء، كان تعامل الأسرى يبعث في داخلي أملا للبقاء، رغم الظّروف القاسيّة، رغم إدراكهم أنني أنتمي إلى بلد استضعفهم إلاّ أنّهم حاولوا إسعافي وتقاسموا معي طعامهم»[12].

من شدة العذاب الذي لحقه من سجَّانه لدرجة أنهم فقد الأمل في عودته لسابق عهده، فلم يجد بقربه إلا السجناء يشاركونه آلامه وآهاته

«فقدت الأمل في الحياة، وكنت أنتظر الوقت الّذي أغيب فيه عن وعيي دون أن أستجيب لطلب الأسرى في عودتي إليهم، صاروا جزءا منّي ومن عذاباتي وألمي».[13]

وعلى العكس نجد السجَّان (الجندي الفرنسي) قد أبدع في تعذيب جون وإهانته وكان مُسببا لأزمة نفسية ورغم ذلك هو من نفس الجنسية (الفرنسية) لجون بل وجندي مثله تماما.

فنلاحظ أن الآخر الأجنبي كان أفضل معاملة وأرحم حالا من الآخر المحلي المحسوب أنه من جلدتك وعمله من صفك.

«أنّهم أسرى مثلي، لكن ليسوا فرنسيّين، وإنّما هؤلاء هم أصحاب الأذهان المتحجّرة التي أشار إليهم الجنرال دو برمون في خطابه.»[14]

6.3 نقد الآخر مع اخفاء الاعجاب به:

حيث كانت السيدة فيكتوريا (والدة توماس) تنتقد باستمرار سلوك ابنها توماس، وفي حين أنها كانت دائما تُخفي اعجابها بطريقة تفكيره الرائعة، فخوفها عليه يجعلها مُلزمة بتتبعه ونقده علّه يتراجع عن أفكاره، فهي تخشى فقده كما فقدت زوجها من قبل.

حيث تنتقده قائلة: «أُصمت يا توماس، عسى أذن تلقف كلامك خارجا، عدنّي يا بني ألا تتفوه بكلمة بعد الطعن»[15].

«أهلكت عقلك هذه الكتب يا توماس، فكر في حياتك، كن واقعيا.» [16]

ولكنها بينها وبين قرارات نفسها نجدها مُعجبة بأفكاره، بطريقة تفكيره، تراها أنها أكثر منطقية وأقرب إلى الصواب، لكن خوفها عليه ومن أن تفقده تجعلها لا تُظهر له ذلك.

يقول الكاتب بن زخروفة في هذا الشأن واصفا لفيكتوريا: «كثيرا ما كانت السيدة فيكتوريا تولي اهتماما كبيرا لحجج توماس وهي تتلقى اللّوم على أفكاره، تُصغي إليه حتى ينتهي كلامه، ثم تبتعد عنه غاضبة، لكن سرعان ما تعود إلى مراجعة أفكاره في خلوتها، فيسود الاطمئنان فؤادها بعدما تلاشت سُحب الشهادات داخلها»[17].

7.3 قبول الآخر:

نجد إلينا حبيبة توماس التي كانت تنتظر عودته لإتمام مراسم الزفاف، فبعد سماعها بخبر تجنيده للجزائر قد قاومت وتقبلت قرار خطيبها على حادثة الثكنة، يقول الروائي بهذا الصدد على لسانها: «أعلم جيدا كيف يفكر، لذلك أحببته، الرائعون هم من يفكرون عكس الآخرين حينما تُغريهم كثرتهم، بينما ضمير كل واحد منهم يصدح بما يفكر به هذا الشخص، لذلك أخاله يسكن في عمق كل واحد منهم، بينما هم يسكنون عقول أسيادهم... لا تخشى على توماس، وذلك لأنه صادق مع نفسه وواقعه»[18].

8.3 الصورة التكذيبية للآخر:

كانت فرنسا تَعْمَدُ في سبيل ترسيخ ثقافتها وأفكارهم لإيهام الجندِ بمحتوى أفكارهم فتلجأ إلى رجال الدين، وكان أكبرهم على الإطلاق رئيس الأساقفة المطران ميرونيس، فهو راهب وضعته فرنسا بجوار سجن سيغون، حيث اقترب منه جمع الجنود (جون وصديقه بيل والبقية...) وخاطبهم قائلا:

«أنتم في رعاية المسيح مادام انتقالكم لتمثيله وتلقين تعاليمه لقلوب لا تُدرك مفاهيم الرسالة المقدسة، التي أتى بها»[19].

حيث ردّ عليه جون بكلمات مُكذبا إيَّاه قائلا: «مسيحكم الذي لفقتم حوله الأكاذيب، ليس هو المسيح الذي عاش قبل مئات السنين، وإنما أنتم رجال دم وخنوع إلى حكومات دولتكم»[20].

حيث كانت هته الكلمات بمثابة من فتح على نفسه بوابة الجحيم حيث تسببت بتعذيبه بعدها. يقول جون: «وانفلت من لساني كلمات رمتني إلى جحيم لم أكن أتوقعه»[21].

4. خاتمة:

لقد كان مُحتوى الرواية على مضمون فكري حداثي، يحمل صورة الأنا والآخر، لذا فإن السرد كذلك، اشتغل على ما هو حداثي في التقنية السردية، التي نُسجت على المقابلة بين عدد من الشخصيات الروائية، التي نسرد حكايتها بفرنسا، قبل أن ينتقل إلى الجزائر، وفي الأخير يمكننا أن نستخلص أهم النقاط التالية:

عالج الرّوائي " محمد بن زخروفة " إشكالية العلاقة بين الأنا الفرنسية والآخر الجزائري في رواية " سيغون ستارغو "، تلك العلاقة التاريخية الممتدة في الزمن، والتي شهدت توتّرات سياسية وحربية، تعود جذورها لطبيعة العلاقة بين المُستعمر والجزائري، غير أنه حاول أن يقدّم عبر روايته صورة مُغايرة عن العادة، إذ نقل لنا عبرها صورة الفرنسي المُتضامن مع الجزائريين ومُقِرًّا بحقّهم المسلوب من طرف بني جلدته، لافتا انتباه الجزائريين لتعسفهم في نسيان من ساندهم يوما من الفرنسيين.

إن كتابات "محمد بن زخروفة " تعدّ من النماذج السّرديّة التي عالجت بعمق إشكالية الأنا والآخر، كما نقلت لنا صورة واضحة عن العلاقات الجزائرية الفرنسية إبان الفترة الاستعمارية، مُشيرة إلى حال المُجنّدين ويومياتهم أثناء التجنيد وبعده وما يُصاحب ذلك من تمثلات للآخر.

مراجع البحث وإحالاته:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت (لبنان)، ج2، 1991، ص34.

2- أحمد بن محمد بن علي المقري الغيومي، المصباح المنير، دار المعرفة، القاهرة، ط2، د ت، ص350.

3- النجار مصلح وآخرون، الدراسات الثقافية والدراسات ما بعد الكولونيالية، ص51.

4- ميلاد حنا، قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص90.

5- محمد بن زخروفة، سيغون ستارغو، الجزائر تقرأ، 2018، ص10.

6- الرواية، ص:93.

7- الرواية، ص:11.

8- الرواية، ص:101.

9- الرواية، ص: 101.

10- الرواية، ص:102.

11- الرواية، ص:109.

12- الرواية، ص:108.

13-الرواية، ص:110.

14- الرواية، ص:104.

15- الرواية، ص:12، 11.

16- الرواية، ص:14.

17- الرواية، ص:34.

18- الرواية، ص:26.

19- الرواية، ص:95.

20- الرواية، ص:96.

21- الرواية، ص:95.